

8

الجزء الأول

الجزء الأول

(نشأته)

نشأته

بقلم: ١. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم: ١. عبد الشافي سيد

إشراف: ١. حمدي مصطفى

كانت مملكة (بابل) مملكة كبيرة ، واسعة الأرجاء ،
ممتدة الأطراف .. وكانت مملكة من الممالك التي أنعم
الله تعالى على أهلها بنعم كثيرة ، لا تعد ولا تحصى ..



وكان أهلُ (بابل) يعيشون في رخاء ، ورغد من
العيش .. فقد حباهم الله أنهاراً من المياه العذبة ،
وأرضاً خصبة طيبة ، صالحة للزراعة ..

ولذلك كانت الحدائق والبساتين المثمرة بمختلف
أنواع الفاكهة ، منتشرة في كل مكان من أرض
المملكة المترامية الأطراف ..

وكانت حدائق بابل المعلقة يضربُ بها المثلُ في
الروعة والجمال والتنسيق ، لدرجة أن الناس في زمانها
قد اعتبروا هذه الحدائق المعلقة ، عجيبة من عجائب
الدنيا السبع ..

وبرغم هذه النعم الكثيرة ، التي كان أهلُ (بابل)
ينعمون بها ، فقد عاشوا يتخبطون في ظلمات الجهل
والضلال ، والشرك وعبادة الأوثان ..

لقد نحت أهلُ (بابل) الأصنام والتماثيل بأيديهم
من الخشب والحجارة ، وجعلوا منها أرباباً وآلهة ،

فَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ
بِكُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ..

وَكَانَ يَحْكُمُ مَمْلَكَةَ (بَابِلَ) فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ حَاكِمٌ
جَبَّارٌ مُسْتَبِدٌّ ، هُوَ (نُمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ بْنِ كُوشِي) ..

فَلَمَّا رَأَى (نُمْرُودُ) مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ قُوَّةٍ وَسُلْطَانٍ ، وَمَا يَتَقَلَّبُ
فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ ، وَرَغَدِ الْعَيْشِ ، وَمَا يُسَيِّطِرُ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ
الْجَهْلِ وَالظَّلَامِ ، وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، أَقَامَ نَفْسَهُ إِلَهًا عَلَى
قَوْمِهِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ ..

أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَعْبُدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. وَكَانَ أَهْلُ
(بَابِلَ) يَعْبُدُونَ أَشْيَاءَ أُخْرَى مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَالنُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ..

فَلَمَّاذَا لَا يَعْبُدُونَهُ ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالتَّمَاثِيلَ ،
الَّتِي يَصْنَعُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَخْشَابِ ؟!

إِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ ، مَعَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ وَلَا تَرَى
أَوْ تَعْقِلُ .. لَا تَضُرُّ أَوْ تَنْفَعُ .. أَمَّا هُوَ فَيَرَى وَيَسْمَعُ ،



وَيَنْطِقُ وَيَفَكِّرُ .. وَهُوَ أَيْضًا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضُرَّ وَيَنْفَعُ ..

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْعَلَ الْفَقِيرَ مِنْهُمْ غَنِيًّا بِأَنْ يُعْطِيَهُ أَمْوَالًا ...

وَأَنْ يَجْعَلَ الْغَنَى فَقِيرًا ، بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ أَمْوَالَهُ ..

وَهُوَ أَيْضًا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْزِمَ مَنْ يَشَاءُ ، فَيُقْرِئَهُ مِنْهُ ، وَيَجْعَلَ

النَّاسَ يَحْتَرِمُونَهُ ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُذِلَّ مَنْ يَشَاءُ ، فَيَخْفِضُهُ ، أَوْ

يَسْجُنَهُ ، وَيَجْعَلَ النَّاسَ يَحْتَقِرُونَهُ ..

إِذَنْ فَنَمْرُودُ هُوَ وَحْدَهُ صَاحِبُ الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ ،

وَصَاحِبُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ نَفْسَهُ إِلَهًا ،

وفرضَ على النَّاسِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، مِنْ دُونِ اللَّهِ ،
وَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ قَتَلَهُ ، أَوْ انْتَقَمَ مِنْهُ وجعله عِبْرَةً لغيرِهِ . .
وسطَ هذه البيئة التي يعيشُ أهلُها في ظُلُماتِ
الْجَهْلِ والضَّلَالِ ، وُلِدَ نَبِيُّ اللَّهِ (إِبْرَاهِيمُ) ، خَلِيلُ
الرَّحْمَنِ ﷺ . . وُلِدَ فِي بِلْدَةٍ تَابِعَةٌ لِمَمْلَكَةِ (بَابِلَ)
الْمُتَمَدِّدَةِ الْأَرْجَاءِ . .

وكانَ (أَزْرُ) وَالِدُ (إِبْرَاهِيمَ) نَجَّارًا يَصْنَعُ التَّمَاثِيلَ مِنَ
الْخَشَبِ وَيَبِيعُهَا لِقَوْمِهِ ، لِيَعْبُدُوهَا ، وَكَانَ (أَزْرُ) يَعِيشُ
هُوَ وَأُسْرَتُهُ مِنْ بَيْعِ التَّمَاثِيلِ . .

ويقالُ إِنَّهُ قَبْلَ وِلَادَةِ (إِبْرَاهِيمَ) ﷺ ذَهَبَ السَّحَرَةُ
وَالْمُنَجِّمُونَ إِلَى الطَّاغِيَةِ (نُمرُودَ) وقالوا لَهُ :

- إِنَّا نَجِدُ فِي عَلَمِنَا أَنَّهُ سَوْفَ يُوَلَدُ فِي مَمْلَكَتِكَ
غُلَامٌ ، سَيَكُونُ اسْمُهُ (إِبْرَاهِيمَ) . . وَأَنَّ هَذَا الْغُلَامَ
سَوْفَ يَكُونُ لَهُ شَأْنٌ ، لَكِنَّهُ لَنْ يَتَّبَعَ دِينَكَ ، وَسَوْفَ
يُحَطِّمُ أَصْنَامَكُمْ ، وَيُكَسِّرُ أَوْثَانَكُمْ . . وَأَنَّ

مِيلَادَهُ سَوْفَ يَكُونُ فِي شَهْرِ كَذَا ، وَفِي سَنَةِ كَذَا ..

وَيُقَالُ إِنَّ (نُمْرُودَ) لَمَّا حَلَّتِ السَّنَةُ وَالشَّهْرُ الَّذِي
حَدَّدَهُ لَهُ الْمُنَجِّمُونَ ، أَمَرَ بِجَمْعِ النِّسَاءِ الْحَوَامِلِ ،
وَاللَّائِي سَيَحِينُ مَوْعِدُ وَضْعِهِنَّ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ ،
وَحَبَسَهُنَّ ، فَمَنْ وَضَعَتْ مِنْهُنَّ وَلَدًا أَمَرَ بِقَتْلِهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ
يَعْلَمْ بِحَمْلِ وَالِدَةِ (إِبْرَاهِيمَ) ..

فَلَمَّا أَحَسَّتْ وَالِدَةُ (إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَلَامِ الْوَضْعِ ،
تَسَلَّلَتْ مِنْ بَيْتِهَا لَيْلًا ، وَدَخَلَتْ مَغَارَةَ قَرِيبَةً مِنْ بَيْتِهَا ..
وَهَنَّاكَ وَضَعَتْ (إِبْرَاهِيمَ) ، وَبَعْدَ أَنْ أَرْضَعَتْهُ ، غَطَّتْهُ ،
ثُمَّ سَدَّتْ عَلَيْهِ بَابَ الْمَغَارَةِ ، وَتَرَكْتُهُ هُنَاكَ فِي رِعَايَةِ
اللَّهِ ، وَعَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا .. وَكَانَتْ تَزُورُهُ بَيْنَ الْحَيْنِ
وَالْآخِرِ ، فَتَرْضِعُهُ وَتَطْمِئِنُّ عَلَيْهِ .. وَبِهَذَا نَجَّى اللَّهُ
تَعَالَى (إِبْرَاهِيمَ) مِنَ الْقَتْلِ ، عَلَى يَدِ (نُمْرُودَ) ..

وَهَكَذَا كَبُرَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاخِلَ الْمَغَارَةِ ، وَهُوَ لَمْ
يَرِ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا ، وَأَنَّ اللَّهَ كَانَ يُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ

وَأَنَّهُ كَبِرَ بِسُرْعَةٍ وَصَارَ غُلَامًا ..

فَلَمَّا خَرَجَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَغَارَةِ وَرَأَى الْمَخْلُوقَاتِ
عَلَى الْأَرْضِ رَاحَ يَسْأَلُ أَبَاهُ عَنْ كُلِّ مَا يَرَاهُ ..

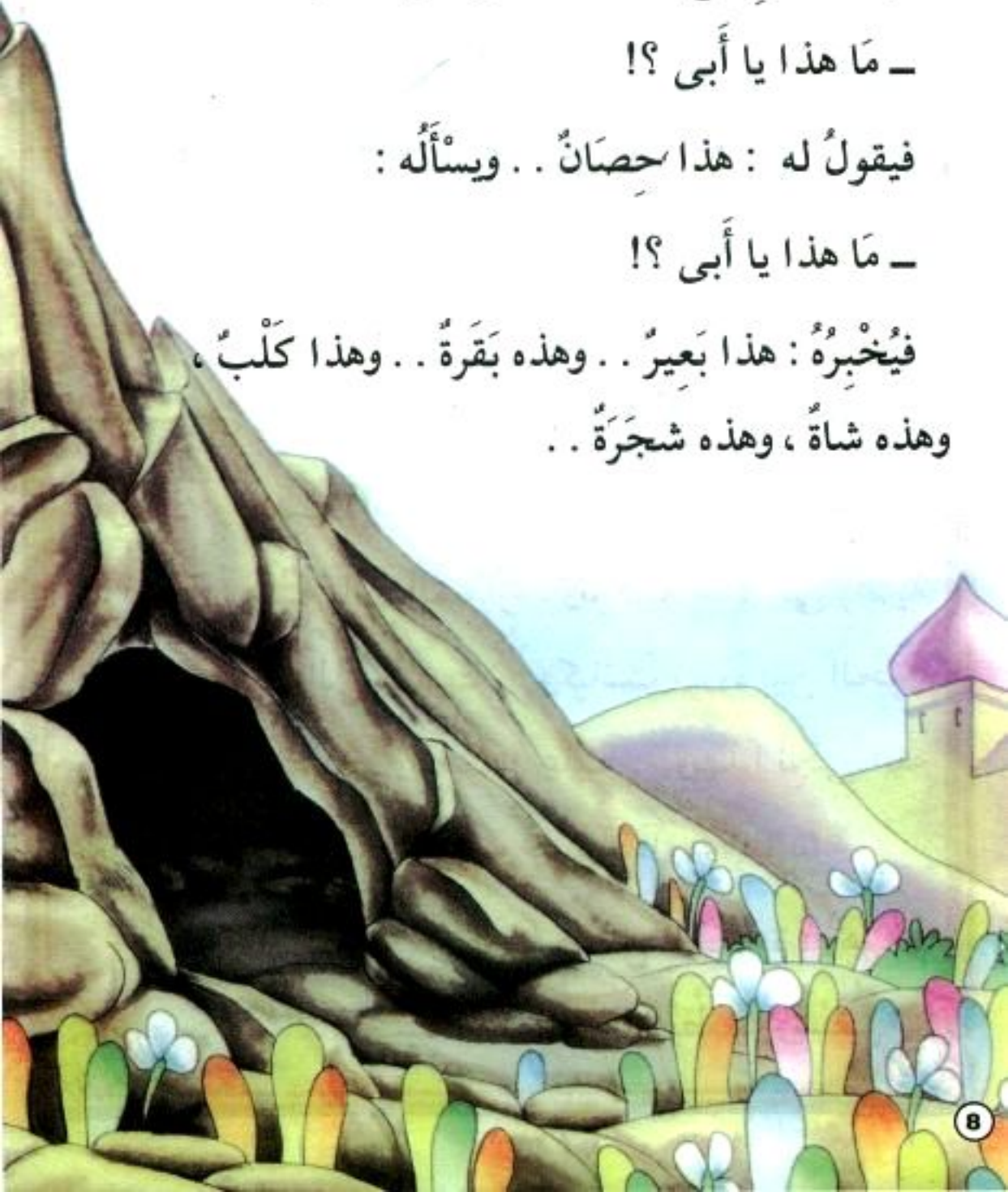
— مَا هَذَا يَا أَبِي !؟

فَيَقُولُ لَهُ : هَذَا حِصَانٌ .. وَيَسْأَلُهُ :

— مَا هَذَا يَا أَبِي !؟

فَيُخْبِرُهُ : هَذَا بَعِيرٌ .. وَهَذِهِ بَقَرَةٌ .. وَهَذَا كَلْبٌ ،

وَهَذِهِ شَاةٌ ، وَهَذِهِ شَجَرَةٌ ..



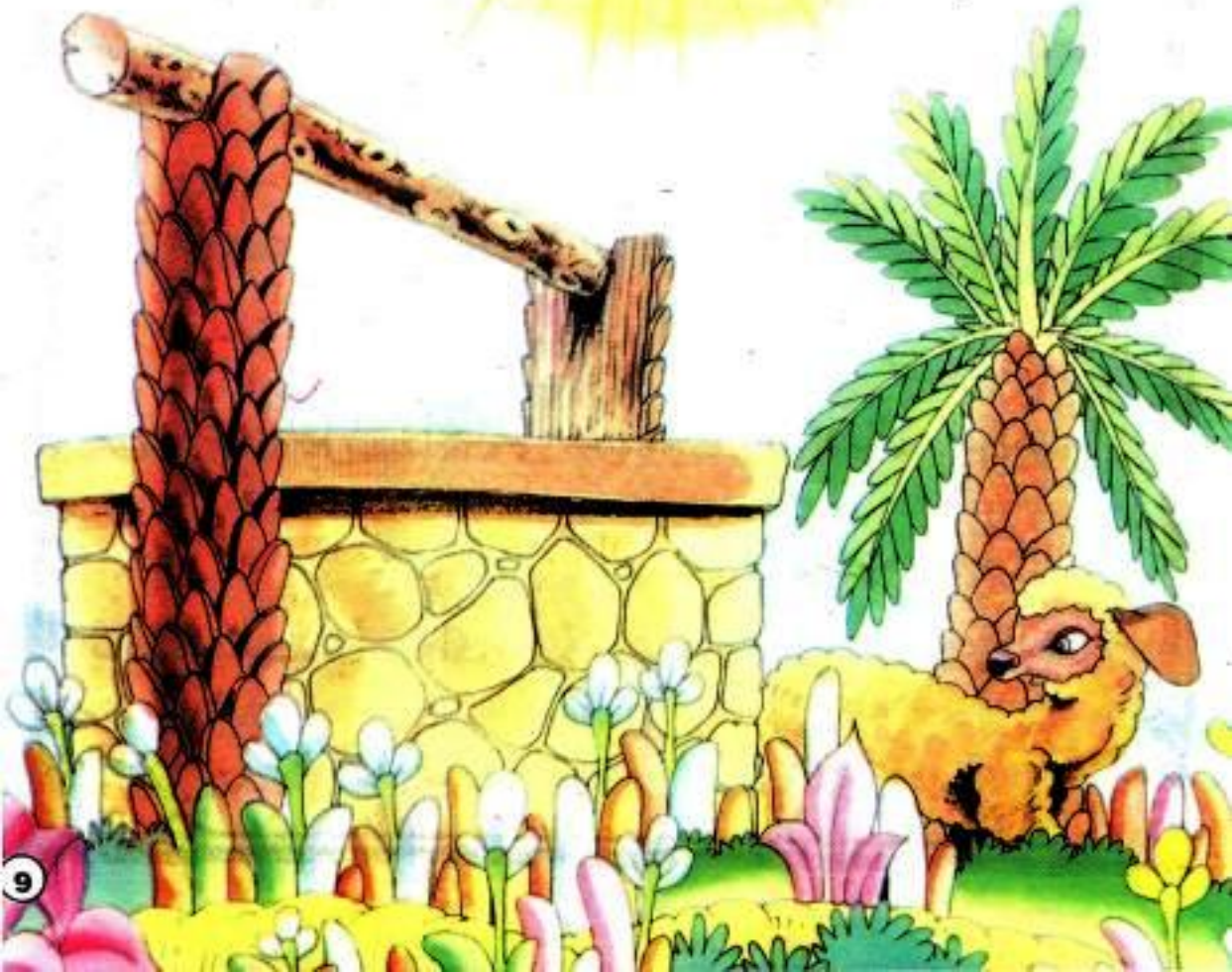
فقال (إبراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

– هذه المخلوقاتُ لا بُدَّ أَنْ يكونَ لها رَبٌّ قَدْ خَلَقَهَا ..

وجلسَ (إبراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ يُفَكِّرُ وَيَتَأَمَّلُ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقاتِ ، فقال :

– إِنَّ الَّذِي خَلَقَنِي وَرَزَقَنِي ، وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي هُوَ رَبِّي ..
مَا لِي إِلهَ غَيْرُهُ .

وراحَ (إبراهيمُ) يَبْحَثُ عَنْ رَبِّهِ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ ..



وَذَاتَ لَيْلَةٍ كَانَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسًا يَتَأَمَّلُ
السَّمَاءَ ، فَرَأَى كَوْكَبًا مُضِيئًا ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ قَائِلًا :
- هَذَا رَبِّي ..

وَأَخَذَ يُتَابِعُ الْكَوْكَبَ بِنَظَرَاتِهِ ، حَتَّى غَابَ الْكَوْكَبُ
وَاخْتَفَى مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَالَ (إِبْرَاهِيمُ) :

- لَا .. هَذَا لَيْسَ رَبِّي .. إِنَّ رَبِّي لَا يَغِيبُ ، وَهَذَا
الْكَوْكَبُ يَأْفُلُ وَيَغِيبُ ..

وَبَعْدَ قَلِيلٍ سَطَعَ الْقَمَرُ فِي السَّمَاءِ ، وَأَضَاءَ بِنُورِهِ
الْفِضِّيِّ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ (إِبْرَاهِيمُ) ، وَقَالَ :

- هَذَا رَبِّي ..

وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ الْقَمَرَ ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ رَبُّهُ ، حَتَّى غَابَ الْقَمَرُ
فِي آخِرِ اللَّيْلِ ، وَاخْتَفَى مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَالَ (إِبْرَاهِيمُ) :

- لَا .. هَذَا لَيْسَ رَبِّي .. إِنَّ رَبِّي لَا يَغِيبُ ، وَهَذَا الْقَمَرُ
يَأْفُلُ وَيَغِيبُ .. لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ
الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ..

فَلَمَّا انْقَضَى اللَّيْلُ ، وَطَلَعَ النَّهَارُ ، أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ،
فَرَاهَا (إِبْرَاهِيمُ) أَكْبَرَ وَأَكْثَرَ نُورًا مِنَ الْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ ، وَأَعْظَمَ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ رَأَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَلِذَلِكَ أَشَارَ إِلَيْهَا قَائِلًا :
- هَذَا رَبِّي .. هَذَا أَكْبَرُ ..

وظَلَّ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ يُتَابِعُ الشَّمْسَ طَوَالَ النَّهَارِ ، حَتَّى
غَابَتْ وَقْتَ الْغُرُوبِ وَتَوَارَتْ عَنِ الْأَنْظَارِ ..
فَقَالَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ .. إِنِّي وَجَّهْتُ
وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ، وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ..

هَكَذَا أَعْلَنَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ بَرَاءَتَهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
يَعْبُدُهَا قَوْمُهُ ، مِثْلَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ ، وَالشَّمْسِ
وَالْقَمَرِ ، وَالْأَصْنَامِ ، وَالتَّمَاثِيلِ ، وَغَيْرِهَا ، وَعَرَفَ أَنَّ رَبَّهُ هُوَ
اللَّهُ ، الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ جَمِيعًا ، وَبِيَدِهِ تَدْبِيرُ أُمُورِهِمْ ،
فَأَمَّنَ بِهِ وَحْدَهُ ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ..

وكانَ (أَزْرُ) يَنْحِتُ الْأَصْنَامَ ، وَيُعْطِيهَا لـ (إِبْرَاهِيمَ)

وَإِخْوَتَهُ ، كَيْ يَبِيعُوهَا لِقَوْمِهِمْ . . فَكَانَ (إِبْرَاهِيمُ) يَصِيحُ
عَلَى الْأَصْنَامِ ، سَاخِرًا مِنْهَا بِقَوْلِهِ :

— مَنْ يَشْتَرِي هَذِهِ الْأَصْنَامَ ، الَّتِي تَضُرُّهُ ، وَلَا تَنْفَعُهُ ؟!

وكانَ إِخْوَةُ (إِبْرَاهِيمَ) يَبِيعُونَ أَصْنَامَهُمْ ، وَيَرْجِعُ
(إِبْرَاهِيمُ) بِأَصْنَامِهِ ، دُونَ أَنْ يَبِيعَ مِنْهَا صَنَمًا وَاحِدًا ،
فَيَذْهَبُ بِالْأَصْنَامِ إِلَى النَّهْرِ ، وَيُصَوِّبُ رُءُوسَهَا إِلَى
الْمَاءِ قَائِلًا لَهَا فِي اسْتِهْزَاءٍ : اشْرَبِي . . اشْرَبِي . .

وَذَاتَ يَوْمٍ نَظَرَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ يَعْمَلُ
فِي صِنَاعَةِ التَّمَاثِيلِ وَقَالَ :

— مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي تَصْنَعُهَا يَا أَبِي ؟!

فَقَالَ (أَزْرُ) :

— هِيَ الْأِلَٰهَةُ الَّتِي أَعْبُدُهَا ، وَيَعْبُدُهَا قَوْمِي . .

فَقَالَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

— كَيْفَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَرَى ، وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ؟!

مغضب (الر) وقال :

أَلَا تَعْلَمُكَ آلِهَةُ قَوْمِكَ يَا (إِبْرَاهِيمُ) !؟

وقد كان (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ حَلِيمًا ، فَتَلَطَّفَ فِي دَعْوَةِ

أَبِيهِ ، وَخَاطَبَهُ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ ، وَالْأَدَبِ الْجَمِيلِ . .

قال (إِبْرَاهِيمُ) لِأَبِيهِ :

— إِنَّ هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الصُّمَمَاءَ الْخَرَسَاءَ ، الَّتِي تَعْبُدُهَا ، لَا تَضُرُّ

وَلَا تَنْفَعُ . . هَذِهِ الْأَصْنَامُ ، إِذَا سَجَدَ لَهَا الْإِنْسَانُ أَوْ

خَضَعَ وَخَشَعَ ، فَلَنْ تَرَى سُجُودَهُ ، أَوْ تُحَسَّ بِخُشُوعِهِ . .

إِنَّ الَّذِي يَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ ، مِنْ دُونِ اللَّهِ يُلْغِي
عَقْلَهُ ، وَيُنْقَادُ إِلَى طَرِيقِ الشَّيْطَانِ ، وَالشَّيْطَانُ كَافِرٌ
وِعَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى .. يَا أَبَتِ إِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَنَا ، وَقَدْ
أَقْسَمَ عَلَيَّ غَوَايَةِ الْإِنْسَانِ ، وَإِضْلَالِهِ .. يَا أَبَتِ إِنَّنِي
أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ..

فَمَاذَا قَالَ (أَزَّرُ) لـ (إِبْرَاهِيمَ) ؟! هَلْ أَمِنَ بِاللَّهِ ؟!
كَلَّا .. لَقَدْ رَفَضَ (أَزَّرُ) دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ .. أَصَرَ عَلَى
كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ ، وَعِبَادَتِهِ لِلْأَصْنَامِ .. وَقَالَ لـ (إِبْرَاهِيمَ) :
- تَرِيدُ مِنِّي أَنْ أَتْرِكَ دِينِي وَدِينَ آبَائِي وَأُجْدَادِي ؛
لَأَتَّبِعَ دِينَكَ الْجَدِيدَ ، وَأَعْبُدَ إِلَهَكَ الَّذِي تَزْعُمُ ؟! إِنَّ
هَذَا لَنْ يَكُونَ أَبَدًا يَا (إِبْرَاهِيمَ) ..

فَاسْتَغْفَرَ (إِبْرَاهِيمُ) رَبَّهُ وَاسْتَعَاذَ بِهِ مِنْ كُفْرِ أَبِيهِ ،
فَأَخَذَ (أَزَّرُ) يُهْدِدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ ، طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَتْرِكَ دِينَهُ
الْجَدِيدَ ، وَيَعُودَ إِلَى دِينِ آبَائِهِ ..



قال (آزَرُ) :

- إِذَا لَمْ تَرْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، وَتَعُدُّ إِلَى دِينِ قَوْمِكَ ، فَلَنْ
أَتْرُكَكَ هَكَذَا طَوِيلًا .. سَأُسْمِعُكَ مِنَ السَّبَابِ مَا لَمْ
تَسْمِعْهُ ، وَسَأَرْجُمُكَ بِالْحِجَارَةِ ، فَأَحْذَرُ ثَوْرَةَ غَضَبِي ،
وَإِخْرَاجَ مَنْ دَارِي ، فَلَيْسَ لَكَ مَكَانٌ عِنْدِي ، وَلَنْ تَجِدَ فِي
قَلْبِي عَطْفًا عَلَيْكَ ، وَلَا رَحْمَةً بِكَ ..

فَقَالَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

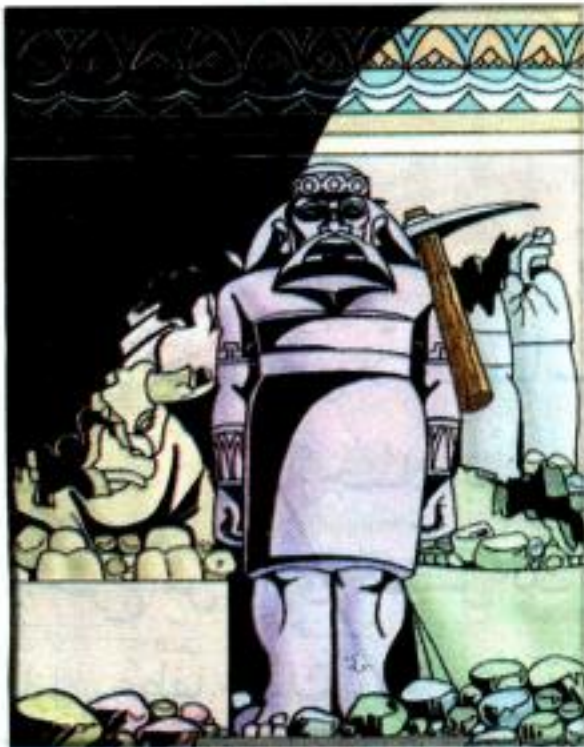
- مَهْمَا حَدَّثَ لِي ، فَلَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ ، الَّذِي خَلَقَنِي
وَهَدَانِي إِلَيْهِ ..

وَهَكَذَا قَرَّرَ (أَزَرَ) طَرْدَ (إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ دَارِهِ ، فَمَاذَا
فَعَلَ (إِبْرَاهِيمُ) ؟

هَذَا مَا سَنَعْرِفُهُ فِي الْكِتَابِ التَّالِي ..
(تَمَّتْ)

رقم الإيداع : ٢١٦٢

الترقيم الدولي : ٢ - ٢٨٩ - ٣٦٦ - ٩٧٧



قصص الأنبياء

الكتاب التالي

إبراهيم عليه السلام

(٢)

(تحطيم

الأصنام)

احرص على اقتنائه